كيانها . وهنا لا بد ان نلاحظ ان زعماء حركة المقاومة في سعيهم لكسب مزيد من التأييد الشعبي توسعوا كثيرا وبشكل سريع دون التنبه الى ضرورة العمل بشكل عامودي . فقد استجابت لهم الجماهير الاردنية والعربية التي اذهلتها قوة الصدمة ، ولكن استجابتهم لهذه القوة العربية المقاتلة تميزت بالحماسية والعاطفية على اعتبار ان الفدائيين اعادوا لها شيئا من كرامتها المسلوبة، كما اشبعوا لديها الرغبة ، التي حرمهم اياها زعماؤهم ، من اجل التعبئة والمشاركة في الكفاح. وبالمقابل نرى ان الحكام العرب اكتفوا بالتأييد اللفظي لحركة المقاومة الفلسطينية وذلك من اجل ايهام الاخرين بأنهم ، هم وشعوبهم ، يشاركون في الكفاح ، وايضا من اجل استباق اية مطالبة بتعبئة حقيقية ومشاركة فعلية . ولانه لم تقدم لهم مطالب تذكر اصبحت الجماهير العربية في موقف المتفرج على صعود ابطالها ومن ثم سقوطهم بعد انتصارهم المؤقت . وكأي جمهور متفرج آخر ، اكتفت الجماهير العربية هذه بالتصفيق والابتهاج ومن ثم البكاء والحزن عند كل فصل من فصول المأساة . ولكن الفصل الاخير من المأساة جعل من الاردن بلدا من فريقين رئيسيين — الفلسطينيين والبدو — تفصلهم هوة من الحقد والضغينة لا يمكن رأبها ، بالاضافة الى مجموعات صغيرة مترددة . ولا يظهر بأن المعارضة الاردنية التقليدية للنظام قد تزعزعت ، ولكنها خمدت ، على اعتبار ان منطق الحوادث اثبت ان الجماهير غير مؤهلة للتحرك بعد . ولكن التأييد الكاسح للفدائيين بين اهالي الضفة الشرقية ، والذي بلغ أوجه بعد حوادث أيلول ، قد انحدر الان الى ادنى مراحله ، وذلك لاسباب عدة اهمها : التراخي والكسل بعد اشهر من العنف والموت والشك دون تحقيق اية نتيجة ايجابية ، الشعور باليأس ، فقدان الثقة بقيادات حركة المقاومة نتيجة لفجوة الثقة بين الوعود والانجازات ونتيجة لحملة البطش والتحريض التي قامت بها السلطات الاردنية في اوائل السنة الماضية لتصوير الفلسطينيين عامة ، والفدائيين بشكل خاص ، بأنهم جماعة من العصاة المتطرفين الذين لا هدف لهم سوى قلب النظام وشق البلد وتدمير اقتصادها . وهكذا نرى ان السلطة الاردنية فرضت حظرا كاملا ودائما على نشاطات الفدائيين في الاراضي المحتلة ، وعمدت بدلا من ذلك الى تصوير حركة المقاومة وكأن لا هم لها سوى مقارعة النظام داخل الاردن بدلا من العمل ضد العدو الاسرائيلي . وبذلك بات المواطن العادي في الاردن يتأمل في نفسه ويشغل تفكيره في لملمة جوانب حياته المضطربة على بعضها بعضا ، وفوق ذلك كله الخروج بسلام من جميع هذه المشاكل . واما بالنسبة للفلسطينيين في الاردن فانهم اصبحوا في وضع وكأن العالم قد انهار من حولهم ، وتركهم محطمين ، بائسين ، مفعمين بالحقد والمرارة والخوف والتعطش للثأر ، كما ان عددا من الفلسطينيين المتحمسين الذين كان يصنفهم النظام الاردني كعناصر « طيبة » ، أي فدائيين «معتدلين» مالوا تجاه العناصر « المتطرفة » ، واصبحوا ينتقدون بعض التيارات المعتدلة ويتهمونها بقصر النظر وانها سبب الحالة الراهنة التي تعيشها حركة المقاومة في الاردن في الوقت الحاضر ، لذلك نرى انهم تبنوا وجهة النظر القائلة بأن الطريق الى تل ابيب تمر في عمان ، وان على حركة المقاومة ان تعمل من اجل «تحرير الاردن وتحرير فلسطين». وهكذا ، فان « معركة التلال » ، بدلا من « تطهير حركة المقاومة من العناصر المتطرفة » التي تهدد السيادة الهاشمية ، نجحت في تطهير الحركة من كثير من العناصر « المعتدلة » ، التي اما استسلمت قرفا او يأسا ، واما انضوت تحت لواء المنظمات « الراديكالية » . فمن تحت رماد احراش جرش وعجلون ، نشهد هذه الايام مولد نوع جديد من الفدائيين : المقاتل اليائس ، Desperado . ومنذ الان نرى ان « العودة الى الحياة الطبيعية والسلام والهدوء » بدأت تتخللها انفجارات الالغام المبثوثة هنا وهناك ، والقنابل اليدوية التي تلقى على المراكز الادارية ، والعبوات الناسفة في الشاحنات الاردنية ، وعمليات اضرب واهرب ، وتصف القواعد والمواقع العسكرية بالصواريخ . لذلك ما لم يغير النظام الاردني موقفه من الفلسطينيين ومن حركة المقاومة ، فان هذه الهجمات ستزداد نوعا وكما خاصة عندما ينزل الفدائيون تحت الارض ويكيفون انفسهم مع الاستراتيجية الجديدة التي تمليها الظروف عليهم. وهكذا نخلص الى القول ان العملية التي استهدفت انهاء « ازدواجية السلطة » في الاردن يمكن ان تثبت انها بداية عهد جديد من الثورة .